

التبيان في تفسير القرآن

(331) سليمة مما أراد الشيطان. ويحوز أن يكون النبي (صلى الله عليه وآله) حين اجتمع اليه القوم، واقترحوا عليه أن يترك ذكر آلهتهم بالسوء، أقبل عليهم يعظهم ويدعوهم إلى الله، فلما انتهى رسول الله إلى ذكر اللات والعزى. قال الشيطان هاتين الكلمتين رافعا بها صوته، فالحاهما في تلاوته في غمار من القوم وكثرة لغطهم، فظن الكفار أن ذلك من قول النبي، فسجدوا عند ذلك. وقوله " والله عليم حكيم " معناه إنه عالم بجميع المعلومات، واضع الأشياء مواضعها. والآية تدل على أن كل رسول نبي، لأنه تعالى ذكر أنه أرسلهم، وإنما قال من رسول ولانبي، لاختلاف المعنيين، لأن الرسول يفيد أن الله أرسله، والنبي يفيد أنه عظيم المنزلة يخبر عن الله. وقد قال بعض المفسرين: إن المراد بالتمني في الآية تمني القلب، والمعنى أنه ما من نبي ولا رسول إلا وهو يتمنى بقلبه ما يقربه إلى الله من طاعاته، وإن الشيطان يلقي في أمنيته بوسوسته واغوائه ما ينافي ذلك، فينسخ الله ذلك عن قلبه بأن يلفظ له ما يختار عنده ترك ما اغواه به. وقوله " ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض " بيان من الله تعالى أنه يجعل ما يلقيه الشيطان من الامنية فتنة، فمعنى (ليجعل) يحتمل امرين: أحدهما - الحكم والتسمية، كما تقول جعلت حسني قبيحا، ويكون المراد أنه ينسخ ما يلقي الشيطان طلبا للفتنة والاغواء. والثاني - أنه أراد ليجعل نسخ ما يلقي الشيطان فتنة، لأن نفس فعل الشيطان لا يجعله الله فتنة، لأن ذلك قبيح، والله تعالى منزّه عن القبائح اجمع، فمعنى الفتنة في الآية المحنة، وتغليظ التكليف " للذين في قلوبهم مرض " أي شك ونفاق وقلة معرفة " والقاسية قلوبهم " يعني من قسى قلبه عن اتباع الحق. وقيل: هم الظالمون. ثم أخبر تعالى " إن الظالمين " لنفوسهم " لفي شقاق بعيد " أي مشاقة